

اجماع الشعب هو الاقوى

من دلائل قوة القضية العربية وبواعث الامل في نجاحها القريب انها بلغت من الوضوح حداً قلما تيسر لقضية شعب اخر في العالم . وقد خطت هذه القضية في السنوات العشر الاخيرة على اثر الحرب العالمية الثانية خطوات في الوعي والنضج لم تكن لتخطوها الشعوب في عشرات السنين . فقد خرج العرب على اثر الحرب العالمية الاخيرة والطبقة الاقطاعية تقبض على الحكم في جميع اقطارهم وتمثل نضالهم واهدافهم القومية . واليوم تقف هذه الطبقة في صف . ويقف الشعب العربي كله في صف اخر . قبل عشر سنوات كانت هذه الطبقة تحتكر الوطنية وتنكر على من يعارضها ان يكون له بالوطن صلة أو نسب . واليوم لم يعد لها مناص من ان تنكر للوطن وحرية وقوميته وتقف مع المستعمر الاجنبي واسرائيل الغاصبة جهراً وعلانية في صف واحد بغية المحافظة على مصالحها الخاصة الاثيمة .

لقد تحول زعماء الوطنية إلى دعاة سافرين للانكليز والفرنسيين وأمسى الذين كانوا حتى الامس القريب يستغلون قضية فلسطين ووجود اسرائيل للتهويش والتضليل ، واقفين في معسكر واحد مع اسرائيل وحليفتيها المعتديتين ، بريطانيا وفرنسا . وافتضح امر الذين كانوا الى الامس القريب في العراق وخارج العراق يضللون باسم الوحدة العربية ويتباكون عليها ، فاذا هم عندما انفتح الطريق رجباً وسيعاً امام هذه الوحدة يقاومونها ويلقون في طريقها بكل ثقل تأمرهم وخيانتهم فيفرضون على العراق عزلة رهيبه لم يعرف لها العرب مثيلاً في تاريخهم الطويل ، ويعملون جاهدين مع الاستعمار لاعادة تقطيع أوصال الامة العربية ولتجزئة القطر

الواحد الى طوائف وعصبيات .

في هذه الفترة الحاسمة ، وفي ابان المعركة المحتدمة بين العرب واعداء حريتهم ، تطرح القضية العربية على هذا الشكل الواضح الذي ينمي وعي الشعب ويشحذ نضاله ويعجل في انتصاره . فالوطنية والقومية وكل ماتضمنان من فضائل وقيم انسانية واجتماعية وفردية عادت الى نصابها ورجعت الى الشعب صاحب الوطن وبانيه وحاميه ، بينما استأثرت فئات المصالح الخاصة والجشع المادي والزعامات المصطنعة باللاوطنية والخيانة .

وفي هذه الفترة الحاسمة بالذات يحاول الاستعمار مرة أخرى ان يلقي الغموض في قضيتنا والارتباك في صفنا الشعبي الموحد بلجوثه الى بعض عملائه من الحكام والمسؤولين لاختفاء وحدة الشعب المتحققة وراء وحدة الحكام التي لا يمكن ان تتحقق ، مادام الاستعمار موجوداً في بعض اجزاء وطننا ، وما دام ينصب الحكام من صنائعه ويفرضهم على هذه الاجزاء بقوته ونفوذه . فوحدة الصف العربي التي يدعو اليها الحكام العملاء في مثل هذه الحال لا يمكن ان تكون مهمتها توحيد الجهود بل فرض الجمود على الحكومات المتحررة التي تقود الشعب الى النضال والتي يقودها نضال الشعب الى التحرر .

عندما تأسست الجامعة العربية قبل اثنتي عشرة سنة ، كانت البلاد العربية ما تزال تزرع تحت كثير من القيود الخارجية والداخلية ، وكان وعي الشعب العربي ما يزال في حالة من الضعف سمحت للطبقة الاقطاعية الحاكمة ان تدعي تمثيله . وكانت تقف وحدها أمام الدول الاستعمارية موقف المساومة المزدوجة فتهدد الاستعمار بالشعب ليحد من استشاره وتهدد الشعب بالاستعمار ليتنازل عن بعض حقوقه ومطالبه . وكان اجماع ممثلي هذه الطبقة في الجامعة العربية على ضعف مستواهم القومي يزعج الاستعمار فيحاول بث الفرقة والانقسام بين صفوف الحكام . حتى اذا انطلق الشعب العربي من اسار الرجعية المتحكمة وقطع مراحل في طريق النضال التحرري ووصل في بعض اقطاره الى حكم متجاوب الى حد كبير أو قليل مع ارادته وأمانيه القومية ، وصلت الجامعة العربية الى نهايتها ، واستنفدت مهمتها التي

حققتها الظروف لها وتجاوزها الزمن ، لأن الطبقة العربية الحاكمة فقدت تجانسها بدخول عنصر الشعب والثورة فيها ، وغدا انقسامها جداً لا هزلاً كما كان يصطنعه الاجنبي بواسطة صنائعه ، وتراءت من خلال هذا الانقسام الجدي بين الحكام وحدة الشعب العربي ووحدة نضاله ، ولم يعد الشعب بحاجة الى اجماع حكوماته حتى يفرض هيئته على الاستعمار وينتزع منه بعض حقوقه ، بل اصبح انفراد حكومة تتجاوب مع الشعب وتمثل ارادته في الحرية والوحدة والتقدم ، يخيف الاستعمار اضعاف ما كانت تخيفه قرارات حكومات الجامعة وتهديداتها . ووصلنا الى هذا الوضع المتناقض الذي يمثل فيه الاستعمار وعملاؤه في الداخل الدعوة الى وحدة الصف العربي ، بينما يطالب الشعب العربي باجماع قوي رائع من الاطلسي الى الخليج العربي ، ان يتمسك جمال عبدالناصر بسياسته القومية الثورية ويمضي فيها الى النهاية دون ان يعبأ بتخلف المتخلفين ومعارضة المتأمرين لأن الشعب نفسه قد اخذ على عاتقه ان يحمي هذه السياسة ويغذيها بنضاله ، وان يدفع المتخلفين ويحطم المتأمرين .

اننا اليوم نعرف ان وعي الشعب ونضاله هما الاساس . وقد اظهرت المعركة الحاضرة ان صمود مدينة صغيرة قد أنقذ مصر والعروبة وأنقذ معها مبادئ ومصائر غالية على الانسانية . ولقد مضى وقت الضعف الذي كنا نحتاج فيه ان نحتمي بمظهر الاجماع والوفاق الكاذبين ، ودخلت الامة العربية طور القوة والنماء السليم الذي يحتاج الى الوضوح ونور الشمس . فكل تستر على مؤامرات الطبقة الناشزة عن اجماع الشعب العربي والمستعبدة لمصالحها الخاصة سيعوق ايقاظ القوى العربية الشعبية واستلامها لمسؤوليتها التاريخية في حماية الانبعاث العربي الجديد ودفعه الى الامام ضد عدوان الاستعمار وصنائه ، دون ان يكسبها هذا التستر شيئاً جدياً في نظر العالم . فالشعوب الحرة لم تبدأ بالتعرف الى قضيتنا وتأييدها الا عندما لمست ان هذه القضية لا تقتصر على رغبات الملوك ومصالح الطبقة المترفة وان وراءها شعباً واحداً مناظلاً اخذ اليوم يخيف الاستعمار العالمي ويزعزع اركانه لأنه لم يعد يخاف من مواجهة مشاكله بصراحة ، ومجابهة اعدائه الداخليين بالجرأة والتصميم اللذين

يجابه بهما الاستعمار نفسه .

١٦ تشرين الثاني ١٩٥٦